وضعية ودور المرأة في مخيمات اللاجئين الجزائريين في تونس و المغرب 1955–1962

د. عاشور محفوظ

جامعة الجزائر 2 " أبو القاسم سعد الله "

ملخص:

قدمت المرأة الجزائرية تضحيات كبيرة في سبيل نيل الحرية ، حيث ساندت أخاها الرجل في القرى والمدن وفي الجبال ، فكانت المسبلة والفدائية والممرضة ، وكانت ضمن الوحدات العسكرية وفي اللجان الخماسية ، ولذلك كانت ركيزة أساسية في الدفع بالثورة نحو الأمام ، ومع اشتداد همجية الإحتلال الفرنسي في تعامله مع الشعب ، أضر ذلك كثيرا بالمرأة كونها العنصر الوحيد ، عرضة للإعتقال والاستجواب ومختلف ممارسات الجيش الفرنسي والخونة ، وما زاد من ضررها أيضا بعدما اضطر العديد من سكان القرى الحدودية إلى الهجرة للأراضي التونسية والمغربية بفعل همجية الجيش الفرنسي وخوفا من القصف الجوي العشوائي للقرى والمداشر .

الكلمات المفتاحية : اللاجئين ، المرأة الجزائرية ، تونس ، المغرب ، الثورة التحريرية الجزائرية

Abstract:

Algerian women made great sacrifices in order to gain freedom, as they supported their brother men in villages, cities and in the mountains, so they were the masbalah, the commando and the nurse, and she was within the military units and in the five-member

committees, and therefore she was a key pillar in pushing the revolution forward, and with the intensification of the barbarism of the French occupation in its dealings with the people, this greatly harmed women being the only element, subject to arrest, interrogation and various practices of the French army and traitors, What added to the damage was also after many residents of border villages were forced to migrate to Tunisian and Moroccan territory due to the barbarism of the French army and fear of indiscriminate aerial bombardment of villages and towns.

Keywords: Refugees, Algerian women, Tunisia, Morocco, Algerian liberation revolution.

مقدمة:

تركت المرأة الجزائرية بصماتها في مختلف الحقب التاريخية التي مرت بها الجزائر ، أبرزها المواقف البطولية إبان الثورة التحريرية ، سعيا منا لإبراز ذلك اخترنا هذا الموضوع لتسليط الضوء على مخيمات اللاجئين في تونس و المغرب مركزين على إبراز وضعية المرأة فيها و الدور الذي قامت به للتخفيف من معاناة الذين كانوا معها ، دون أن ننسى المواقف التضامنية للنساء التونسيات و المغربيات في مقدمتهن الأميرة لالة عائشة ابنة الملك محمد الخامس

1/ ظروف و أسباب ظهور قضية اللاجئين :

أسفر النزاع المسلح الذي شهد ته الجزائر بين 1954- 1962 عن تشرد واسع للمدنيين داخل الجزائر و عبر حدود الدول المجاورة، تونس، المغرب، ليبيا.

أضطر الآلاف من الجزائريين معظمهم نساء أطفال إلى ترك كل ما يملكونه و قطعوا مسافات بعيدة سيرا على الأقدام سعيا منهم إلى ملاذ آمن بعيدا عن التقتيل و البطش الاستعماري . واجهت المرأة اللاجئة ظروف عائلية صعبة كتشتت الأسر و فقدان الأطفال أثناء فوضى الفرار و ترك عدد كبير من المسنين و العجزة الذين تعذر عليهم

القيام بتلك الرحلة الشاقة . فقد اللاجئون كل سبل العيش ، فأصبحوا يعتمدون على مضيفيهم و على الوكالات و المنظمات الإنسانية . وعلى الخدمات الشحيحة لمفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين . في بداية القضية،أخذت المرأة الجزائرية زمام الأمور من حيث المأكل و المبيت حفاظا على حياة أفراد أسرتها فتنظمت في مجموعات لجمع ما يمكن أكله من النباتات كما قامت ببناء أكواخ لتجنيب الأطفال برودة الطقس خاصة في فصل الشتاء. كما تحصلت على مساعدات من النساء التونسيات و المغربيات . و مع تفاقم الأوضاع تدخلت المصالح الصحية لجيش التحرير الوطني ، بإمكانيات بسيطة و عدد قليل و غير مؤهل من الممرضين. و بعد إضراب الطلبة في 19 ماي 1956 ، تدعمت المصالح الصحية للجيش بالطالبات في اختصاصات عديدة كالطب العام و الصيدلة و التمريض. و مع تأسيس الهلال الأحمر الجزائري ، توسعت عملية إدماج المرأة في النضال الوطني من خلال تكوين الممرضات و المربيات و المرشدات الاجتماعيات .

2/ وضع المرأة و دورها في المخيمات بتونس

لم يكن استقبال اللاجئين في تونس مماثلا لما عرفته السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر . و يعود ذلك إلى سؤ الأوضاع الاجتماعية للشعب التونسي الذي تحصل على استقلاله سنة 1956 . كانت مأساة اللاجئين من جهة و معاناة الشعب التونسي من جهة أخرى .

أولى موجات اللاجئين نحو تونس شهدتها المناطق الحدودية ، حدثت بعد تكثيف الجيش الاستعماري الفرنسي لعملياته العسكرية في الولاية الأولى و حصار الأوراس و فكه في 20 أوت 1955 .

تكونت أولى المخيمات بطرق بدائية [1] في غار الدماء ، طبرقة ،و في منطقة الجنوب الشرقي في بسطيلة ثم في الكاف . تزايد العدد بتوافد أعداد أخرى من الجزائريين الفارين من الموت و الاعتقال ، كان للمرأة الجزائرية دورا في تنظيم المخيمات و كذا الاتصال بالسكان

و بمنظمة الهلال الأحمر التونسي لكن أمام قلة إمكانياته قدم الهلال الأحمر التونسي في ندوة نيو دلهي مشروع قرار لمساعدة اللاجئين الجزائريين. صادقت عليه بالإجماع سنة 1957 بحضور ممثلي الهلال الأحمر الجزائري[2] .

قدرت اللجنة الدولية للصليب الأحمر عدد اللاجئين الجزائريين سنة 1957 بخمسة و ثلاثون ألف[3] .معظمهم نساء و أطفال و بعد سنة عقد مكتب الهلال الأحمر الجزائري اجتماعا بحضور وزير الشؤون الاجتماعية[4] لدراسة القضية و تحديد السبل الكفيلة للتخفيف من معاناة 129 ألف لاجئ و هذا العدد يفوق بكثير تقديرات اللجنة الدولية للصليب الأحمر . ومع تزايد الصعوبات تقرر السعي لدى المنظمات الإنسانية للحصول على مساعدات و العمل على توجيه أنظار دول العالم نحو ما يعانيه اللاجئين الجزائريين.

لم تتجاوب اللجنة الدولية للصيب الأحمر مع حجم المعاناة في مخيمات اللاجئين بالرغم من الجهود التي بذلتها[5] .

و حسب الدكتور مصطفى مكاسي ، فإن أول مصدر مالي الذي استعمل للتخفيف من معاناة اللاجئين هو التضامن الوطني ، بحيث تجمع لتبرعات من طرف الهلال الأحمر ثم تحول إلى اللجنة الدولية للصليب الأحمر التي تستعملها لشراء المواد الضرورية لمواجهة مشكلة النازحين في الجزائر و في المناطق الحدودية[6] .

في سنة 1958، قدر عدد اللاجئين الجزائريين في تونس بأكثر من 130 ألف منتشرين في مختلف المحافظات بينما قدر الهلال الأحمر التونسي عددهم بمائة ألف لاجئ.و هو العدد الذي قدمته للجنة الدولية للصليب الأحمر من أجل الحصول على مساعدات[7]

و بعد رفع الحظر الذي فرضته الجمارك التونسية على كل السلع الموجهة للتخفيف من معاناه اللاجئين الجزائريين ، شهدت عمليات التوزيع نشاطا تضامنيا كبيرا صنعته المرأة التونسية بالتعاون مع النساء اللاجئات الجزائريات هذا إلى جانب ما جمع من مؤن في إطار تضامن الأسر التونسية مع مخيمات اللاجئين [8] .

بعد تدخل الهلال الأحمر الجزائري تنظم دور المرأة في مخيمات اللاجئين و تعزز بألتحاق نساء أخريات متخصصات في التمريض والتكوين المهني و التربية إذ فتح الهلال الأحمر الجزائري مراكز لتكوين الفتيات فن الخياطة كما أنشأ دور للحضانة للتكفل بالأطفال إلى جانب فتح مدارس ميدانية لتعليم القراءة و الكتابة .

قدم الهلال الأحمر خدماته الصحية للاجئيين في كل من الكاف ، التي كان فيها 19 مخيما بتعداد 52 ألف لاجئ و على مسافة 12 كيلومتر منه يوجد مخيم واد الرمل و مخيم غار الدماء و ساقية سيدي يوسف الذي سجل فيه الهلال الأحمر الجزائري عدد كبير من وفيات الأطفال[9]).

أما الحالة النفسية يعبر عنها صحفي جريدة المجاهد كتب عنها يقول " رأينا تحت خيمة ممزقة أسرة ، الأم كانت جالسة بجانبها طفلها عمره لا يتجاوز أربعة أسابيع موضوع على الأرض عاريا و الذباب يزعجه ،جميعهم كانوا ينتظرون نهاية الحرب للعودة إلى منازلهم التي حطمها الاستعمار "[10].وعن مركز الأرضية بالساقية نقل صحفي المجاهد الصورة التالية " بعد القصف ، شيدوا أكواخا داخل غابة الصنوبر ، مصنوعة من فروع الأشجار ،و سرنا إلى وسط الغابة و جدنا قرية من الأكواخ تأوي 1800 عائلة مجموع أعضائها يفوق 10 ألاف شخص . وجود بعض الدجاج يدل على وصول البعض منهم مؤخرا ، وجدنا على أجسادهم أثر التعذيب .. ألح الطبيب المرافق للصحفيين على تقديم المساعدات خاصة حليب الأطفال و الأدوية و الفيتامينات و اللباس الشتوي[11].

مع إنشاء المناطق المحرمة سنة 1958 ، قدمت موجات جديدة من اللاجئين إلى المناطق الحدودية عددهم فاق 110 ألاف لاجئ مما جعل الهلال الأحمر الجزائري يوجه نداء عاجل إلى الأمة العربية جاء فيه :

" إن الهلال الأحمر الجزائري ، بإمكانياته المحدودة قد بذل مجهودات جبارة طيلة سنوات من أجل تخفيف الآلام على 300 ألف من اللاجئين الجزائريين . ومحاولة توفير

ضروريات الحياة لهم و لكن الهلال الأحمر الجزائري ، إزاء تفاقم الحالة و كثرة اللاجئين الهاربين يوميا من الجحيم الذي سلطته عليهم القوات الاستعمارية .

إزاء كل ذلك أصبح الهلال الأحمر الجزائري عاجزا عن مواجهة الكارثة بمفرده . لذلك نناشدكم أيها الإخوة العرب ، باسم العروبة و الأخوة و الإنسانية ، نناشدكم مد يد المساعدة إلى الهلال الأحمر الجزائري كي يتمكن من أداء رسالته الإنسانية المقدسة نحو إخوانكم اللاجئين الجزائريين البؤساء....

و الهلال الأحمر الجزائري واثق كل الثقة بأن الأمة العربية التي وقفت بجانب الجزائر و ناصرتها في كفاحها المجيد من أجل الحرية و الاستقلال ، سوف تسرع بتلبية هذا النداء و تهب جميعها لمد يد العون إلى اللاجئين الجزائريين في محنتهم القاسية "[12]

و نتيجة لهذا النداء العاجل تلقى الهلال الأحمر الجزائري مساعدات من الدول العربية التالية : سوريا ، مصر ، لبنان ، الكويت ، المغرب ، ليبيا ، السودان . وبالموازاة مع هذا التضامن العربي ،و في 12 مارس 1959 ، وصلت إلى ميناء تونس باخرة يوليوس فوستيك التشيكوسلوفاكية محملة بالمساعدات مقدمة من قبل الصليب الأحمر لدولة ألمانيا الديمقراطية [13] و الصليب الأحمر التشيكي .

من الأنشطة التي سهر الهلال الأحمر الجزائري على استمرارها بالرغم من الصعوبات و بفضل تضحيات المرأة الجزائرية و تضامن النساء التونسيات مواصلة تقديم العلاج للاجئيين ، فتح مراكز إستشفائية ، تنظيم مراكز اللاجئين في أريانة بضواحي العاصمة التونسية الذي كان يأوي أكثر من 4000 ساكن . تأجير عمارة حولت إلى مركز لاستقبال الأطفال اليتامى طاقتها حوالي ألف طفل . السهر على تكوين الفتيات بفتح مراكز تعليم الخياطة .و فتح مراكز أخرى للتعليم المهني للذكور.

دعمت جهود الهلال الأحمر الجزائري من طرف الإتحاد العام للعمال الجزائريين الذي فتح مركزين لليتامى الأول باسم عيسات إدير و الثاني باسم العربي بن مهيدي في نفس

السياق خصصت الحكومة المؤقتة 147 مليون فرنك شهريا لتعليم الأطفال في تونس و المغرب و ليبيا [14] .

3 / وضع المرأة ودورها في مخيمات اللاجئين بالمغرب :

تعود الموجة الأولى للاجئين نحو المغرب الأقصى إلى العمليات التي قام بها جيش التحرير الوطني ضد مركز الجيش الفرنسي في صبابنة قرب مدينة أحفير المغربية في شهر مارس سنة 1956 [15] و تجنبا للعمليات الانتقامية للجيش الفرنسي توجه عدد كبير من سكان المناطق الحدودية نحو مدينة وجدة و ضواحيها . و مع قيام الجيش الفرنسي بعمليات التمشيط في المنطقة تزايد عدد اللاجئين فكانت الموجة الثانية .

ولاستقبال الأعداد الكبيرة من اللاجئين قامت الجالية الجزائرية المقيمة في مدينة وجدة المغربية بإنشاء ودادية الجزائريين في وجدة و هذا لتسهيل جمع الإعانات و التكفل الأفضل باللاجئين و هنا كذالك برز دور المرأة الجزائرية المقيمة في المغرب التي تكاتفت جهودها مع المرأة المغربية .

لكن ظروف الاستقبال تعقدت مع توافد أعداد أخرى ، فنقص الغذاء ، و كثرت الأمراض لكن تضامن الشعب المغربي تمكن من رفع معنوياتهم . في هذه الظروف الصعبة قدمت المصالح الاجتماعية لجبهة التحرير الوطني خدمات صحية و إعانات مادية كما قامت بتعيين مفوضين ساميين ، و أطباء و ممرضين و ممرضات و معلمين في مختلف مخيمات اللاجئين . معظم اللاجئين كانوا في المناطق القريبة من الحدود ، في مداشر بين بلدة أحفير و قرية بن درار ، و في بوبكر ، فقيق ، جرادة ، بوعرفة و بين بوبكر و الحدود أستقر العديد تفصلهم عن ديارهم مسافة 500 متر ، كانوا يشاهدون منازلهم و هي تتحطم جراء القصف المدفعي و الجوي ، وهم يأملون العودة إليها .نظرا للعدد الكبير من النساء و الأطفال كان من الضروري إشراك المرأة في تنظيم المخيمات و تحويلها إلى مراكز للتدريب على الوطنية و النضال و التضحيات . و من الأدوار التي قامت بها المرأة في

مخيمات اللاجئين ،جمع الحطب وما يمكن استهلاكه من الحشائش و ما تحتويه الطبيعة ، بناء الأكواخ ، توفير المياه و جلبها من مناطق بعيدة ، التكفل بالمسنين و باليتامى ، المساهمة في توزيع المساعدات التي توفرها الجمعيات الإنسانية كالهلال الأحمر المغربي و كذا تبرعات الشعب المغربي. أما الطالبات اللائي التحقن بالثورة فكان دورهن حسب التخصص في التمريض أو التعليم و الإرشاد .

مع أواخر شهر جوان 1957 قدر عدد اللاجئين ب50 ألف لاجئ وهو عدد تزايد بمعدل 5 ألاف شهريا من بنهم مواطنين من المغرب كانوا يشتغلون في الحقول و التجارة في الجزائر . انطلاق موجات اللاجئين كان من تلمسان ، ندرومة ، وهران ، سيدي بلعباس ، مغنية ، مسرغين ، معظمهم فضلوا الاستقرار في مدينة وجدة و ضواحيها . و يعود ذلك إلى قيام السلطات المحلية بالتعاون مع سكان المدينة بتخصيص محلات فسيحة لاستقبالهم فيها 143 بيت يسكنها 1140 لاجئ ، نظمت تنظيما محكما مما سمح للهلال الأحمر الجزائري القيام بمهامه العلاجية و التموينية . كما خصص لكل لاجئ منحة أسبوعية قدرها 200 فرنك .

نظرا لتزايد عدد اللاجئين ، أصبح تخوف مصالح الصحة و الهلال الأحمر الجزائري كبيرا من انتشار الأوبئة و الأمراض المعدية .تزايد عدد اللاجئين ضاعف من المأساة ، مما جعل الإغاثة الشهرية التي كان يقدمها الهلال الأحمر غير كافية تماما. ولتفادي الكارثة الإنسانية ، كثف مندوب الهلال الأحمر في جنيف السيد بنتامي من جهوده للحصول على المزيد من المساعدات عن طريق اللجنة الدولية للصليب الأحمر لإنقاذ الآلاف من الجزائريين(16) .

لكن الإعانات التي قدمتها بقيت غير كافية أمام الاحتياجات الكبيرة و الملحة للآلاف من الجزائريين . في نفس السنة ، اتخذت السلطات المغربية القرار باعتبار الجزائريين المقيمين بترابها لاجئين ، و مناضلي جبهة التحرير الوطني لاجئين سياسيين مما فسح المجال للهلال الأحمر المغربي لطلب المساعدات للحكومة المعنية لطلب الدعم الدولي . توزع

المساعدات من قبل الهلال الأحمر المغربي بالتنسيق مع الهلال الأحمر الجزائري في وقت ظهرت فيها مساعي الحكومة الفرنسية لإعادة اللاجئين إلى الجزائر[17] .

و يرجع السيد مصطفي مكاسي فعالية دور المرأة في مخيمات اللاجئين بالمغرب إلى توفر " مناخ ملائم " ،كقرار منح حق اللجوء السياسي و سهولة الاتصال بالمنظمات الإنسانية لانتزاع الاعتراف بقضية اللاجئين و حاجتهم الماسة على مساعدات . و تخصيص مراكز لاستقبال اللاجئين في وجدة ، سعيدية ،و أحفير و كذلك الدعم الكبير الذي قدمته الأميرة لالة عائشة لقضية اللاجئين الجزائريين بحيث وفرت ظروف تمدرس الأطفال في المؤسسات التربوية المغربية ، تمكين عدد منهم من قضاء عطلهم في مخيمات صيفية ، و توزيع المساعدات على عائلاتهم . أما العلاج و التنظيم و الإيواء فكان يشرف عليه الهلال الأحمر الجزائري .

يلخص السيد مصطفى مكاسي [18] دور المرأة في قضية اللاجئين في النقاط الأساسية التالية :

1- المساهمة في تأطير وتنظيم مخيمات صيفية لفائدة أطفال اللاجئين في المغرب بمساعدة صاحبة السمو الملكي الأميرة لالة عائشة [19].

2- العمل في رياض الأطفال في المغرب و تونس .

3- تأطير مراكز التأهيل للمراهقين بالرغم من قلة الإمكانيات .

4- تأطير أماكن الراحة للمسنين و المرضى و الجرحى الذين كانوا في فترة نقاهة.

5- التكفل بالأطفال من حيث التغذية و التعليم.

معظم هذه الإنجازات تم تحقيقها في المغرب الأقصى بفضل الدعم الذي وفره الملك محمد الخامس و ابنته الأميرة لالة عائشة التي كانت من الممولين للحركة التضامنية مع اللاجئين الجزائريين.

الخاتمة :

من خلال هذه الدراسة أردنا توضيح معاناة المرأة الجزائرية في مخيمات اللاجئين و الدور الذي قامت به للتخفيف من معاناة الآلاف من الجزائريين الذين كانوا في معظمهم من النساء و الأطفال و المسنين . كما حاولنا تسليط الضوء على الحركة التضامنية للنساء التونسيات و المغربيات من خلال جمع التبرعات و إيواء البعض من عائلات اللاجئين وهذه المواقف تعبر عن وحدة نضال المرأة المسلمة المغاربية و موقفها المشترك من السياسة الاستعمارية الفرنسية .

الهوامش :

(1) المقصود إتخاذ المغارات مأوى لهم.

(2) لمطالعة نص اللائحة التي صادقت عليها الندوة الدولية للصليب الأحمر و الهلال الأحمر في نيودلهي عد إلى : جريدة المجاهد ، العدد 12 ،الجمعة 15 نوفمبر 1957.

(3) الأطفال 14 ألف، النساء 14 ألف، الشيوخ و المعطوبين 7 آلاف.

(4) السيد عبد الحميد مهري.

(5) ACICR: BAG 251 008-005 quatrième mission de détention de Pierre Gaillard et du dr. Louis Alexis Gailland, du 15 mai au 6 juillet 1957.

(6) . مقابلة شخصية مع السيد مصطفى مكاسي ،سيدي فرج (الجزائر) 28 أفريل 2009

(7) نفسه.

(8) ACICR: BAG 251 008-005 o p.; c I t.

معلومات تحصل عليها وفد الهلال الأحمر الجزائري من خلال إجراء محادثات مع مصالح الجمارك التونسية

(9) أغلبهم كانوا يعانون من توعك في الأمعاء و انتفاخ البطن بسبب أكل التراب (حسب شهادة الطبيب مصطفى مكاسي).

مقابلة شخصية مع السيد مصطفى مكاسي ، سيدي فرج ،نفس المصدر. أنظر كذلك : Mohamed Guentari, Organisation politico administrative et militaire de la révolution Algérienne .de 1954à1962, volume1, opu, Alger, 1994

(10) أنظر : المجاهد ، العدد 33 ، الإثنين 8 ديسمبر 1958.

(11) نفس المرجع.

(12) نفس المرجع ص،13.

(13) و هي المرة الثامنة عشر التي تقدم فيها المساعدات.

(14) Mustapha Makaci , Le Croissant- Rouge Algérien .Témoignage, éditions Alpha, Alger, 2007.pp.94-95

(15) ACICR: BAG 225 Réfugies algériens au Maroc 008-009.05:

(16) ACICR :o p;c i t.

(17) الطلب قدمه وزير الخارجية لانغلي L'anglais لرئيس اللجنة الدولية للصليب الأحمر في جوان 1958.

(18) مقابلة شخصية مع السيد مصطفى مكاسي، نيوشاتل Neuchâtel (سويسرا) ،30 مارس 2009. أنظر كذلك :المجاهد العدد 12 ،15 نوفبر 1957.

(19) ابنة الملك محمد الخامس ، وجهت رسالة شخصية للجنة الدولية للصليب الأحمر للحصول على الدعم لقضية اللاجئين.

قائمة المصادر و المراجع :

الأرشيف:

ACICR:BAG225008-009.05:Réfugies Algériens au Maroc

ACICR: BAG 251 008-005 quatrième mission de détention de Pierre Gaillard et du dr. Louis Alexis Gailland, du 15 mai au 6 juillet 1957.

جريدة المجاهد ، العدد 12 ،الجمعة 15 نوفمبر 1957.

المجاهد ، العدد 33 ، الاثنين 8 ديسمبر 1958 .

الكتب:

Mohamed Guentari, Organisation politico administrative et militaire de la révolution Algérienne de 1954à1962, volume1, opu, Alger, 1994.

Mustapha Makaci , Le Croissant- Rouge Algérien Témoignage, éditions Alpha, Alger, 2007.

الشهادات:

مقابلة شخصية مع السيد مصطفى مكاسي، نيوشاتل Neuchâtel (سويسرا) ،30 مارس 2009. أنظر كذلك :المجاهد العدد 12 ،15 نوفبر 1957.

مقابلة شخصية مع السيد مصطفى مكاسي ،سيدي فرج (الجزائر) 28 أفريل 2009.